فتاة مصر الفتاة

مجلة أدبية علمية اجتماعية شهرية

العدد التاسع | ديسمبر سنة ١٩٢٢ | السنة الثانية

حيويات

خليل

ابتسامة لكل مغتبط . (١)

أدمع الى النهاية ، وقد تقرحت الجفون ، وكادت العين تنشى ولا ترى ، وكأن بالنفس بحر دموع عميق يجري ويفيض ولا عائق . فنبكي ناحبين ونبلل تلك الآونة القصيرة التي تفصل شروق الشمس عن غروبها بدموع القنوط وزفرات اليأس !! .....

عظيم أن ندوزن أوتار القلب لألحان الحزن وأنين البؤس الذي يتردد في الجو المحيط بنا ولكن تكاد تلك الأوتار تنقصف بشدة توترها بالألم ، وكأننا لا ندري تناقضها ، من أوتار حزن وألم ويأس ومرارة وكآبة لأوتار طرب ولذة وأمل وسعادة ، فندق على الاولى حتى يعلو نحيبها الأليم

(١) هذا مقال مقابل لمقال الآنسة ليبه حنين المنشور بالعدد الماضي وعنوانه « دمعة لكل بائس »

ويصمتنا عن نشيد الثانية البهيج . . . .

قد تكون الحياة متشعبة بمآزق البؤس الذي تمس الروح في ظلماته ولكنها أيضاً مزدانة بوادي الاغتباط المغمور بنور الأمل وبهائه . . . . نحسب آلهة الحظ عمياء توزع سعدها ونحسها بدون مساواة ، وتعجز قلوبنا عن أن تبسط أجنحتها وتحلق في السماء لترى أن لكل نصيباً يغتبط به ، ولكل أملاً يهنأ به . . . . . .

قد تعودنا ان نطأطىء الجسم لتسحقه المتاعب بثقلها وندير الوجه دون المسرات فلا نراها ولا نفرح بها . . . . .

نبكي ونشكو ونتوق الى البعيد وأيدينا محملة ولا تستطيع أن تحمل المزيد . . . ننظر الى الثرى الذي تحت أقدامنا ولا ننظر الى السماء لنرى الثريا فوق رؤوسنا . . . نذهب الى الشوك فنقبضه ونتنحى عن الورد فلا نستنشقه . . . نخور تحت مخاوف الليل البهيم ويفوتنا ضياء الحياة البهيج . . . نتجرع الكأس المرّ بامتعاض ونتبذ الكأس الحلو باشمئزاز . . .

نمرّ بالحدائق والزهور لنبكي على رفات القبور . . . ننظر الى الوراء فنبكي على مسرات دفنت في ثنايا السنين . . . . وننظر الى الامام فنرتعد امام مخاوف عتيدة أن تكون وننسى الحاضر المملوء بالابتهاج والحبور . . . لنا أن نحيا وأن نموت وأن نضحك وأن نبكي وأن نحب وأن نكره وأن نزف العروس وأن ندفن الموتى ولكنا كالخفاش نحس بظلمات الحياة ونأبى أن نغتبط بنورها . . .

نبكي وندرف الدمع بسخاء ولا نبخل بعبراتنا على البؤساء حتى ملأت نفوسنا السهاد والبكاء وصدأ شبابنا بالنحيب والاكتئاب . . . وما الدمعة

للبائس ، الا لإضعاف همته . . . ولو جعلناها ابتسامة لصار بؤسه فقاعة يطيرها الهواء . . . فبالابتسامة تمسح الدموع ويتجلد المتألم ويطمئن المريض ويهدأ القلب ويتعزى الحزين . . . فبدل دمعة باطلة لماذا لا نبني مظلة تحتمي تحتها الارواح، ونخيط ستراً تستر به الاجسام، ونطهي غذاء تشبع به الجياع، ونفجر ينبوعاً ترتوي منه النفوس، ونقيم مأوى يلتجيء اليه الشاردون . . .

قالوا ان المرأة خلقت للنواح والبكاء والرجل للعمل وللجهاد ولو نظرنا حولنا لوجدنا في كل شيء ما يدعو لابتسامة النساء . . .

فابتسامة لدمعة العروس وهي تودع منزل أبيها وقد توّج رأسها تاج البرتقال كأنه اكليل بركات لحياتها الجديدة . . . ابتسامة لكل ناقوس يدق ومؤذن يؤذن فيذيع صوته في الجهات الاربع ويحدث بأن الله أكبر فتهتز الازهار واوراق الاشجار ويصفر الريح ويهمس في الآذان بأن الله في سمائه نفير بعباده . . .

ابتسامة للمظلوم وقد انصف . وللمغلوب وقد انتصر . وللعبد وقد تحرر . وللمرذول وقد جبر . وللحزين وقد تعزى . وللمريض وقد شفي وللجاهل وقد تعلم . وللمضطرب وقد اطمئن . . . .

ابتسامة لهواء الارض ولنورها ولمائها ولبهاء قمرها الشاحب وصحو قبتها الزرقاء . . . .

ابتسامة لكل فتاة تبتسم لصورتها في المرآة ويتغنى دمها ببهجة الحياة وقد تسربلت بجمال الشباب فسرقت شعرها من ظلمة الليالي الليلاء وعينيها من نجوم السماء . . . .

ابتسامة لكل عصفور شارد يستيقظ مع بزوغ الشمس وينرد على

ما في قلبه الصغير أغنية الابتهاج والتسبيح لاله لا يشاء بقوته ولا يهمله بعنايته . . . .

ابتسامة لكل طفل يضرب برجليه ويصفق بيديه ويصيح ويلعب ويناغي ويحادث القمر ويحاول القبض عليه ويضاحك العاوب ويضعه في فمه . .

ابتسامة له وهو في مهده يبتسم للملائكة التي تحرسه في نومه ويستكن لهدهدة أمه وكأن الاحلام تكوّن هالة حول رأسه . . . .

ابتسامة لكل صباح جديد عندما تنبثق أشعة نوره وتعمر الارض فتطهرها من اباطيلها . وتقبل جفون الاطفال والازهار فتوقظها من نومها .

ابتسامة لغروب الشمس وقد خيم سكونه على الحقول والمجاري وكساها بجماله وسلامه ودعا الابل لتترك على الرمال فترفع عنها اثقالها ونادى النفس لتركع امام الخالق ليخفف عنها اثقالها . . . .

ابتسامة لقلوب يفيح اريج ولائها كبخور تسبيحات المساء وتثبت كثبات الافلاك في مداراتها فلا تحيد عن الوفاء

ابتسامة لقلوب وديعة هي بلسم القلوب الدامية . ولقلوب تتهلل بالتوافه البهية . ولقلوب عميقة هادئة جدية ولقلوب كأقحوان الحقل ناصعة الصفاء . ولقلوب كدوّار الشمس ترقب السماء بانتظار وتخفق بالآمال الحية . .

ابتسامة لكل عين تلعب فيها لمعة السرور والرضاء وتضيء بنور وضعه فيها الخالق لتبصر بهاء الاشياء . . . وابتسامة لكل اذن حساسة بموسيقى الكون وتنهات السماء

ابتسامة لكل نحلة عاملة ترتشف رحيق الازهار غذاء ولكل زهرة تكشف لنا اسرار الحياة وتمايل اغتباطاً . ولكل عرق يتصبب به جبين

العامل بأمانة . ولكل حياة طاهرة ونقية ولكل أم تخيط الملابس وتهيء المهد بآمال حية . . . . .

من يقول ان العالم وادي دموع وظلمات ؟!! فالنحل والطير والزهر ينفي ذلك ويقول انه عالم غبطة وهناء وسرور يتألق ببريق الابتسامات أملى

بين المقابر

آذنت نجوم الليل بالمغيب وتسلل النور يمزق حجب الظلمات وقطع الصمت المطلق آذان المؤذن وصياح الديكة وبدأت علامات الحياة والحركة تدب في الموجودات رويداً رويداً واذا بجموع تعمر الطريق على غير ماهو مألوف في مثل تلك الساعة من مطلع النهار من شيوخ وعجائز وفتيان وفتيات وصبية وصغار . فالى أين يقصد هؤلاء الجادّون في سيرهم وعليهم سيماء التلهف والشوق والحنين ؟ قفوا أسائلكم جميعاً فالمكم مولون وجوهكم شطر القبلة التي وليت وجهي شطرها . اذن فهيا يارفاق ! هيا بنا نعجل نحو الديار الغالية والبقاع المقدسة ! هيا الى مثوى الأعزاء ! هيا الى المقابر نفيض فيها باشجاننا ونفضي اليها بمكنون آلامنا ونذرف على جوانبها حار دموعنا! هاهي الديار فسلام على ساكنيها جللها الصمت فالتقف متهيبين وسط هذا الجلال الرهيب . وخيمت عليها الوحشة والروعة . فهل يصل صدى أصواتنا ليؤنس المستوحشين في ظلمات القبور من سادة وعبيد وشيوخ